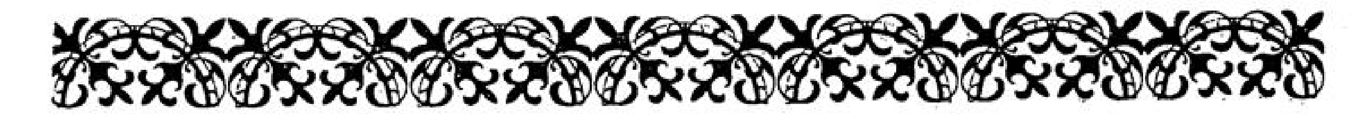
تعليق على مقال

« اقدم مخطوطة عربية في طب الأطفال »

الدكتور

كمال السامرائي

بغداد ـ مستشفى السامرائي



قرأت بحث الدكتور محمود الحاج قاسم محمد في مخطوطة (المعالجات البقراطية) لابي الحسن احمد بن محمد الطبري (القرن الرابع الهجري) بمجلة المورد عدد ٤ سنة ١٩٧٧ . وجدير بكاتب البحث ان يسمع الثناء والتقدير من القراء على اهتمامه بهذه المخطوطة النفيسة النادرة . ونأمل ان نراها في مكتباتنا محققة ومشروحة . على ان لي بعض الملاحظات عما ورد في بحث الكاتب الفاضل اذكرها فيما يلي :

اعتبر الكاتب كما هو واضح من عنوان مقاله ، ان كتاب المعالجات البقراطية هو أقدم الكتب العربية في طب الاطفال . والصحيح ان هناك كتابا عربيا في نفس الاختصاص باسم (خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين) وضعه الطبيب عريب بن سعيد القرطبي (القرن الرابع الهجري ايضا) يمكن اعتباره كما سنرى بعد قليل ، اقدم من كتاب (المعالجات البقراطية) لأحمد الطبري . قال أبو عبدالله الأوسي المراكشي في كتابه الذيل والتكملة (السفر الخامس . ص : ١٤١ ــ ١٤٢) ؛ كان (عريب (بالعين المهملة) بن سعيد .. طبيبا ماهرا .. له مصنفات منها كتاب خلق الانسان وتدبير الاطفال ، ومنها كتاب في عيون الادوية ومنها الخ .. ثم قال المراكشي ؛ واستعمله الناصر (يقصد الخليفة الناصر) على كورة اشونة سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة الخ). وورد اسم الكتاب في نسخة الاسكوريال الخطية : بعنوان خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين ، وهي النسخة التي ترجمت الى العبرية وطبعت بصيغتها العربية في الجزائر سنة ١٩٥٦ . كما ورد اسم عريب في يتيمة الثعالبي (ج ٢ . ص ٥٢) بالغين المعجمة لا العين المهملة . أما محتويات الكتاب فتتكون من خمسة عشر بابا كرست الأبواب السبعة الأولى للحبل والولادة . وهي معلومات تعتبر مقدمة مهمة لطبابة امراض الطفل .

وجعلت الابواب الثمانية الاخيرة لتدبير صحة الطفل ومعالجة أمراضه • والكتاب اوسع شمولا واكثر اختصاصا في طب الاطفال من كتاب المعالجات البقراطية ، ونعتبره أقدم من كتاب احمد الطبري بالدلائل الآتية :

(١) نقل الدكتور محمود عن بروكلمان ان احمد الطبري عاش بين سنة ٣٢٠هـ وسنة ٣٦٦هـ • والحقيقة ان بروكلمان لم يذكر ذلك ، الا انه حين قال : (ج ٤ • ص ٢٨٩) ان احمد الطبري كان طبيب ركن الدولة البويهي ، ألحق بآخر هذا الاسم كما يفعل دائما بتواريخ أصحاب السير ، عضادتين وصنع بداخلهما السنين من ٣٢٠هـ الى ٣٦٦هـ التي تخص حياة ركن الدولة • ولم يقصد بروكلمان ، كما افترض الدكتور محمود ، ان ما بين العضادتين هو عمر احمد الطبري • اذ قد يكون الطبري عاش ايضا قبل التأريخ المذكور أو عاش ايضا بعده •

(٢) ذكر بروكلمان (نفس الجزء والصفحة) ان الطبري عاش في حدود سنة ٣٦٠هـ ، طبيبا لركن الدولة ، واكتفى بذكر هذه السنة فيما يخص حياة احمد الطبري •

(٣) كان عريب بن سعيد القرطبي كاتبا للخليفتين عبدالرحمن الناصر (٣٠٠ ـ ٣٥٠هـ) ثم ابنه الحكم المستنصر (٣٥٠ ـ ٣٦٦هـ) (المراكشي السفر الخامس ص : ١٤٢ وبروكلمان ج ٤ • ص : ٢٨٨) ووضع كتابه خلق الجنين سنة ٣٥٣هـ باشارة من الخليفة المستنصر (بروكلمان ـ نفس المصدر والصفحة) •

(٤) ويذكر بروكلمان بنفس المرجع ان احمد الطبري وأبا العباس المجوسي تتلمذا على ابي ماهر موسى بن سيار الطبيب المشهور • ونعرف ان المجوسي قد توفى سنة ٣٨٤هـ • وهذا يجعلنا نميل الى الاعتقاد ان الطبري ، كصنو للمجوسي في طلب العلم ، قد عاش في اواخر عمر ركن الدولة لا في اوله • بينما عرفنا ان عريب قد كان عائشا بعد سنة ٣٥٣هـ وهي سنة تأليفه لكتاب الجنين • ولاعتقادي ان التواريخ التي وضعها بروكلمان لحياة الطبري قياسية أو تقديرية ، ولأنه لم يشر الى مصادرها في التراثيات العربية في حين ان التواريخ الواردة في سيرة احمد الطبري محددة لا تقديرية بالاضافة الى انها مسندة الى مصادر قديمة وموثقة ، لذلك لا مجال لنا الا ان نجعل عريب بن سعيد القرطبي اسبق في الزمن من احمد بن محمد الطبري ، وكتابه خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين اقدم من كتاب المعالجات البقراطية •

ويهمني من هذا التعليق ان انشر اخبار عريب بن سعيد القرطبي بين محبي التراث العربي ، اذ انه بالرغم من مؤلفاته القيمة لم يترجم له الا بضع من المؤرخين وباختصار مخل ، ولم يذكره ابن جلجل الاندلسي في كتابه طبقات الاطباء والحكماء مع انه كان معاصرا له وانه ذكر من أطباء الاندلس ممن ليس لهم باع ولا تآليف في الطب بقدر ما كان لعريب •